

الأدب التفاعلي الأبعاد المعرفية والأطر المنهجية

د / خثيرة عيسى

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت

"إننا نصوغ أدواتنا ، وفيما بعد تصوغنا أدواتنا "

الملخص :

أصبحت التكنولوجيا اليوم رافدا يعتمد عليها في شتى مجالات الحياة ، فجل النشاطات التي يخوض فيها الإنسان تنطلق منها ، ويعتمد عليها الإنسان في تسيير حياته وتيسيرها ، ولعلّ الشبكة العنكبوتية من أقوى ما أفرزته التكنولوجيا الحديثة؛ لأنها تقدم من البيانات ما يساعد على التفاعل مع الحياة . وهذه البيانات تختلف باختلاف النشاط الإنساني ، من السياسة إلى الاقتصاد إلى الثقافة إلى الاجتماع إلى الدين إلى الرياضة إلى الألعاب والتسلية إلى كل مناحي الحياة ، بل هي الحياة في جميع تفاصيلها الدقيقة في رقمنة واسطتها الحاسوب .

وانطلاقا من المجال الإنساني المعرفي ، فقد تمكنت الانترنت من أن تكون حلقة من حلقات الانتاج الأدبي وتسويقه ، وهي تروج في امتصاص رقمي للعديد من الأشكال الأدبية من قصة ورواية وشعر وفنون على مختلف ألوانها ، وقد ساهمت لأن يكون الأدب متفاعلا مع الآخر ، فأصبح الادب الرقمي يغزو الحياة الأدبية في تفاعل لتكون القطيعة مع الأدب الورقي ، ولينتج قارئنا افتراضيا ، فتتشكل الأبعاد والخلفيات المعرفية وأطره المنهجية ، وهذا ما سنحاول أن نستشفه في هذه الورقة البحثية .

تقديم :

إنّ الدخول في العقد الثالث من الألفية ازداد تعقيدا ، فقد شهد العالم تدفقا رهيبا في التكنولوجيا وأضحى الشبكة العنكبوتية من أبرز وسائل الاتصال ؛ مما جعل بعض الأدباء يتخوفون من مصير الأدب ، وخاصة في مجاله الإنساني ؛ لأن المستقبل الإلكتروني للحاسوب ، ولكن هذا المعطى الرقمي استطاع أن يتكيف بسرعة مع رسالة الأدب فظهر ما يسمى بالأدب التفاعلي أو الأدب الرقمي ، فزال ذلك التصور الذي كان يلمح لإمكانية تهديد عصر المعلومات للموروث الأدبي والثقافي .

إنّ الأدب التفاعلي يعد من صميم الحياة العصرية ، تفرّغ نشاطه بعد ظهور شبكة الانترنت ، ولقي رواجا لدى الأدباء والقراء ، فقد تيسر الوصول إلى الأديب من خلال الرقمنة ، فالشبكة الإلكترونية « تشكل مكانا لنشر بعض النتاج الأدبي ، كما ساهمت في ظهور أشكال جديدة للكتابة تتيح بشكل خاص مساهمة العديد من " أدباء " في تأليف النص نفسه ، يتلقاه كل واحد منهم ، يبدله ويتابعه ، هناك النص المفرط الكبر ، الشعر المفرط ، جيل النصوص الممعلمة ، كتابة مفرطة الاعلامية " تخرج ما بين المرئي والمسموع " في موازاة هذا نشهد تأسيس ناشرين رقميين وقيام مجلات افتراضية¹ ، فتنوعت النصوص الرقمية وتنوع معها القارئ في بحثه عن تشكيل ذاته وفق رؤية أدبية تتخذ من الرغبة في التمكين للقارئ من أن يتفاعل فكريا ونفسيا وروحيا مع هذه النصوص الرقمية .

1- مفهوم الأدب التفاعلي :

الأدب التفاعلي هو وليد العصر والتكنولوجيا ، فينطلق من نظرية الاتصالات الحديثة ، وقد أخذ العديد من المفاهيم والمسميات التي تدل على معنى واحد ، من الأدب التفاعلي إلى الأدب الرقمي ، إلى النصوص الحاسوبية التي تسهم وستساهم في تداول الأدب على مستوى أوسع ، والأدب التفاعلي « يهتم بنشأة تلك العلاقة بين الراصد والنص على

مستوى التصفح والتلقي والتقبل وتخضع هذه العلاقة لمجموعة من العناصر التفاعلية هي: النص، والصوت، والصورة والحركة، والمتلقي، والحاسوب، مع التشديد على العلاقة التفاعلية الداخلية "العلاقة بين الروابط النصية"، والعلاقة التفاعلية الخارجية "الجمع بين المبدع والمتلقي" أي: إن الأدب التفاعلي هو الذي يجمع بين نشاط الكاتب أو السارد ونشاط المتلقي معا²، وقد يسود ذلك مع مناخ معرفي عقلائي داخل هذه العناصر التفاعلية وعلاقتها بالقارئ، فالتقاء النشاطين؛ أي الأديب المتوقع رقميا والقارئ الحاضر رقميا من شأنه أن يضع شرنقة واحدة للعملية الأدبية في تفاعلها.

وهو أدب رقمي حاسوبي تكنولوجي؛ لأنه يستخدم الرقمنة والحاسوب والتكنولوجيا في رسالته ويرى في ذلك ملمحا للترويج لخصوصيته ولتفعيل مدها وتقريبه للقارئ وتقريبه منه؛ ليكون التناغم هدفه والتفاعل غايته فالكاتبة فاطمة البريكي ترى بأنه أدب «يعتمد على مقدار تفاعل المستخدمين والمتلقين المختلفين معه، وقدرتهم على الاضافة فيه، أو التعديل، أو حريتهم في اختيار الطريقة التي تناسب كلا منهم في قراءته وفهمه وتفسيره»³ أو هو النص المرفع Hypertext قد يغدو عند بعضهم تسمية مجازية وذلك لما يقدمه من معلومات تتشابه وتترابط، يستخدم فيها النص والصور والأصوات والأفعال، فيجول القارئ في ثانيا هذه التفرعات المتشابكة والمترابطة⁴؛ فالنصوص الحاسوبية Hypertexts مجموعة أو شبكة مترابطة من النصوص، تتخذ عادة شكل نصوص رقمية تكتب أو تقرأ على جهاز الحاسوب... والنص الحاسوبي تقنية تمكن قارئها من التحرك بحرية وسرعة وسهولة بين النصوص، وللكتابة؛ أي Hypertext معنى متصل بدراسات التناسخ، فهي تعني نصا مشتقا على نحو من الأنحاء من نص أسبق Hypotext ولو على سبيل المحاكاة الساخرة⁵

2- الأبعاد المعرفية للأدب التفاعلي:

البعد المعرفي للأدب التفاعلي لا يقوم على الخصائص الفنية لهذا الأدب ولا على طبيعته الأدبية وإنما البعد المعرفي يتمثل في تلك الرسائل التي يقدمها الأدب التفاعلي وكذلك يقوم على تخومه المعرفية وما يريد تحقيقه من طاقات معرفية تقدم الاضافة للأدب بصفة عامة، وعن الخصائص اللغوية غير المألوفة على الشبكة العنكبوتية، فتنوع رسائل الألوان الأدبية، وتتخذ نظاما لجذب الانتباه للقارئ فتكون مؤشرا للثقافة وموظفا العديد من الوسائط التي تسهم في ابراز البعد المعرفي للأدب التفاعلي باستقطاب الجماهير والقراءة الفاعلة المنتجة، فقد «أحدثت تقنية الإنترنت وأدواتها الرقمية تغييرا جوهريا في طبيعة الآليات المعرفية والإعلامية التي يمارسها الإنسان، بعد أن منحتة فرصة جمع كم هائل من البيانات في بيئة رقمية توفر له فرصة تحليلها إلى عناصرها الأولية، وإعادة تشكيل مادتها بالطريقة التي يريد، مع توافر فرص زج الوسائط المتعددة بالمؤثرات السمعية البصرية»⁶، التي تنشط الأبعاد المعرفية والوجدانية والسلوكية لدى المتلقي، فيكون الخطاب الرقمي عن طريق تفاعله مع القارئ والأداة "الانترنت" التي هي الوسيط من مكونات الأدب التفاعلي.

2-1 الخيال الأدبي وإرهاصات الأدب التفاعلي:

لاشك أن نبوءات الأدباء كانت تنظر لأفاق بعيدة سيقطعها الإنسان في مستقبله الإنساني وما يمتلكه من قدرات عقلية إبداعية في رسم ملامح الإنسان المستقبلي، فلم تكن أعمال الروائيين والشعراء بمنأى عن الرؤية المستقبلية للأدب وتطوره ومسالكه والقنوات التي سيتخذها، بعيدا عما تعود عليه، ودوام على استعماله، فكل المؤشرات الأدبية كانت توحى بتغييرات عميقة في روح الأدب وطرائق التواصل، فقد كانت أعمال المفكر والناقد الكندي مارشال ماكلوان "1911 - 1980" وصاحب شعار الشهير "الوسيط هو الرسالة" «إن ماكلوان هو منظر وسائل الإعلام الذي أوضح بأكثر مما فعل أي شخص آخر، أثر التكنولوجيا في صياغة الإدراك الحسي لدى إنسان العصر الحديث،.. لقد كان ماكلوان هو المفكر الذي أوضح أن الاعتماد الإلكتروني المتبادل سمة عصرنا المتميزة وذلك قبل أن يذيع استخدام

الفايسبوك والتويتير بنصف قرن ... فقد عكف على تحليل الإعلانات في كتابه " العروس الآلية " في 1951 ثم شرع يفكر في الأنظمة المنتجة لبلاغة التجارة ، وعندما كتب يقول : "إننا نصوغ أدواتنا ، وفيما بعد تصوغنا أدواتنا ، كان يتحدث عن التلفزيون وثورة الاتصالات السلوكية واللاسلكية التي مكنت من التواصل عن بُعد. ولكنه كان أيضا يتنبأ بشبكة الإنترنت ، وذلك قبل مقدمها بأربعة عقود." ⁷ ، إذ انهيار الوسائل التقليدية أمام زحف التكنولوجيا؛ يعد بمثابة ثورة عقلية سبقتها تنبؤات الخيال الانساني لما سيحققه الإنسان من تقريب علاقته بوسائل البث والنقل وميادنها ، وإنّ النقطة الحساسة هو ما بين هذين الأمرين ، وإنها المنطقة الغامضة للتفاعلات التقنية - الثقافية ، أو المرجعيات المتبادلة بين تقنياتنا في التذكر والبث والنقل ، من جهة ، وأنماط اعتقادنا وتفكيرنا وتنظيمنا من جهة أخرى ، فأصبحت ما يسمى بالتعالقات الوظيفية تهتم بالتفاعل داخل النسق الواحد ، وليس الاهتمام وليد اليوم .⁸ ، فقد أصبحت هذه الوسائل أكثر شمولاً واستقطاباً للأدب وللمنتوج الانساني المعنوي منه والمادي ، فهي تشكل منظومة معرفية جديدة أصبح يراهن عليها الإنسان عامة والأديب خاصة .

2-2 جماهيرية الأدب التفاعلي :

لاشك للثورة الاتصالية التي طبعت روح الحياة الأدبية في عصرنا اسهام رائع في عالمية الأدبية وتقريب الجماهير من الأديب الذي تريده وترغب في الاطلاع على إبداعاته وحتى على المشاركة النقدية ، ولعل ظاهرة ما يسمى بالنوادي الإلكترونية التي اكتسحت الحقل الأدبي تبين مدى أهمية الانترنت في الترويج للأدب ، فقد اختفت مثلا الصالونات الأدبية نتيجة للتطور الجماهيري ولبروز الوسائل الحديثة للاتصال وتمكنت المرأة العربية الأدبية من أن تحظى بإسهامها الأدبي والفكري ، فمواقع التواصل الاجتماعي من Facebook وSkype وغيرها « جعلت الأدبية أو الشاعرة تضع صفحة لها على هذه المواقع أو تتحدث مباشرة مع عدد من المهتمين من الأدباء والشعراء دون أية قيود ، إضافة إلى اتساع رقعة الاتصال بحيث أصبح بالإمكان أن يشارك في الجلسة الحوارية أو النقدية أدباء " من مختلف البلدان والقارات " وهذا جعل الجلسة الحوارية عبر وسائل الاتصال الجماعي Mass Media أكثر أهمية وأكثر اثراء من الصالونات الأدبية ؛ لمشاركة عدد كبير من المثقفين وكتاب وشعراء »⁹ ، وفيه من يرى الأدب الرقمي جديدا متكنا على أرضية صلبة يتقدم فيها ، ليزيح الأدب الورقي؛ لأنه « يندرج ضمن الآداب الناشئة ، فإنّ النقلة التي يجريها من خلال عدم مغادرته الحاسوب كتابة وقراءة والتغيير الذي يلحقه بمفهوم النص الأدبي ، بحيث لم يعد منتجا لغويا فحسب ، بل صار في بعض أنواع الأدب الرقمي نصا مركبا يتألف من الصوت والصورة واللغة ، فضلا عن اكتسابه أبعادا زمانية ومكانية في حالة النصوص المتحركة المبرمجة ، ما جعل النص الأدبي من الآن فصاعدا نصا سيميولوجيا بالمعنى الذي حدده سوسور لهذا العلم ، ثم النقلة تجعل مقولات النقد الأدبي التقليدي وأدواته التحليلية قاصرة ما لم تكن غير مجدية على الإطلاق لمقاربة نصوص الأدب الناشئ وتطرّح ضرورة مغادرة التخندق في دائرة النقد الأدبي بمفهومه الضيق لفائدة مساحة يتداخل فيها أكثر من علم من العلوم الإنسانية ، وفي مقدمتها سيميائية الأنساق البصرية.»¹⁰ ، فجماهيرية النص الأدبي التفاعلي هي حركة دائبة مستطيرة تتناثر في ظل التقدم التكنولوجي ، وتراهن على المشاركة المتجانسة مع الرقمنة .

2-3 الفروق الثقافية وتأثيرها في المتلقي :

يختلف جمهور الأدب الرقمي عن الأدب الورقي ببروز تنوع جمهوره ، فهو لا يشكل صورة نمطية للقارئ ، ولا يضبطه وإنما يفسح تنوعا حسب طبيعة محتواه فيستقبل جمهوره بخلفيات متباينة ، « فالذين يأتون من خلفيات متباينة يكون لديهم ، في العادة ، تصورات مختلفة عن مدى الرسمية التي يجب أن تكون عليها النصوص المكتوبة على الإنترنت ، ومستوى التركيز الذي يجب أن تتصف به ، ودرجة المجازية في الأسلوب ، ودرجة المجازية في الأسلوب . فنجد أنه في سياق ثقافي معين ، يطلب من الكاتب أن يوصل فكرته بسرعة وبشكل مركز ، في حين أن سياقات ثقافية أخرى تطلب من الكاتب أن يوفر مقدمة تمهد للمشهد ، وتسمح له بأن يستطرد وينحرف عن الموضوع ، قد يكثر استخدام التشبيهات

الزاهية والمجاز والتجسيد ، في حين أن هذه الأساليب يتم تجنبها في سياق ثقافي مغاير»¹¹ ، وكل هذه الاستعمالات البلاغية أو غيرها تحقق تنوع القارئ لتنوع ثقافته .

2-4 انسجام الأدب التفاعلي مع المتلقي :

انسجام الأدب يكون في تلاقح الأدب مع روح العصر ، فيتسم الأدب بالتفاعل بعدما يصبح القارئ جزءاً من طبيعة الأدب الذي يضع القارئ في سياقات متعددة ؛ لأنّ الأدب التفاعلي يضع العديد من الخيارات التواصلية ولا يركز على العناصر المكتوبة أو المحكية فقط فهو ينوع بينهما، ويتنوع تفاعل القارئ بين المحادثة والكتابة ، وهذا الانسجام يمنح استقلالاً ذاتياً معرفياً للقارئ وحرية في التعاطي مع النص الأدبي الرقمي ، فإذا كانت الوظيفة الأساسية للأدب هي وظيفة التوصيل فإنّ « هذا يقتضي التعامل مع الأعمال الأدبية بوصفها خطابات فعالة تروم التأثير في المتلقي وتغيير شعوره وسلوكه ، عندما تثير في ذهنه الصراع والرفض ، وتحضه على حب الحياة الجميلة الخالية من الظلم .»¹² ، فيتجاوز الأدب التفاعلي كل أشكال السلطة والهيمنة والرقابة ويصبح نصاً منفتحاً فاعلاً ومؤثراً ؛ يشعر المتلقي بالحرية وباختيار النموذج الذي يقوده إلى غاية السامية الباحث عنها في أفق الواقع الاجتماعي .

2-5 تعدد القارئ / تعدد التأويل :

يرى إيكو أن الفوضى تبدو كما لو أنها العلامة المميزة للثقافة في القرن العشرين ؛ لتحقيق الإبهام باعتباره قيمة غالباً ما يلجأ إليها الفنانون المعاصرون إلى ما هو لا شكلي إلى المغامرة ، وإلى الالتباس في الخواتيم ، ويركز آخرون بشكل أكبر على دور القارئ ، وفي مرحلة يمكننا تخيل قدرة الحواسيب على كتابة النصوص فإن الآلة الأدبية الحقيقية هي التي تشعر أنها بحاجة إلى إنتاج الفوضى باعتبارها ردة فعل على تحدي قام به التنظيم ، وفي صورة كهذه ليس الأدب هو الذي يختفي وإنما هي صورة الأديب ، فتغدو الصورة الحاسمة للأدب هي القراءة ، ممارسة لوجود بالقوة مفتوحة على كل التأويلات¹³ ، فاختزال تعدد الدلالات لاختزال الفعل القرائي ، فتغدو القراءة التفاعلية نتيجة حتمية لطبيعة النصوص الحاسوبية ورواجها في مخيلة القارئ بعدما توسعت في الشبكة العنكبوتية ، مما فسح المجال للفوضى كعلامة فارقة في ثقافة العصر على حد تعبير إيكو .

وعليه ، فإنّ النص الأدبي في المحل الأول ، وسيلة توصيل ، والتوصيل يتطلب نقل رسالة من المؤلف إلى القارئ باستخدام شفرة مشروطة بوجهات نظر الاثنين إلى العالم ... ، فالتوصيل الأدبي والفني فيستخلص من القارئ استجابة تخيلية تخرج إلى العالم شيئاً لم يكن له وجود ، فيعود القارئ إلى النص " وهذا ما يوفره النص الرقمي " وهذا ما تسميه الناقدة إليزابيث فيروندي في كتابها بعودة القارئ " ، فالقارئ عليه أن ينقح ، أن يفك الشفرة ، أن يقيم تراسلات ، أن يبني صوراً ، أن ينتقل من منظور إلى منظور ، أن يستنتج ، أن يعيد الأمور إلى مسارها الطبيعي ، أن يتعرف ، أن يتصور ، أن ينفي ، أن يدفع بأمور إلى المقدمة ... ، أن يبني المواقف ، فهذه بعض ثمار مناقشة إنتاج المعاني خلال عملية القراءة¹⁴ . فهذه القراءة المتنوعة والمتنقلة يوفرها النص التفاعلي ، فالقارئ يمتلك الحرية الكافية لملا بعض الفجوات ويكون متسقاً في قراءته وتأويله .

2-6 الخروج عن السلطة الأبوية :

نقصد بالخروج عن السلطة الأبوية لدى الأدب التفاعلي الخروج عن الوصاية الأبوية من السلطة إلى ايديولوجيا الأدب بكل ما تحمل الإيديولوجيا من رواسب من شأنها أن تخدم الرقابة وترهن الأدب ، وتحصره في زاويتها ، فقد انعتق الأدب بعد ولوجه للرقمية ؛ لأنّ التأسيس للثقافة التفاعلية بعيداً عن السكون والخروج من شرنقة التقليد والانصياع الفكري والأخلاقي ، سيثبت مدى أهمية التحرر في الأدب حين يصبح الأدب في مواجهة مباشرة مع المتلقي ، وقد تنبه أدونيس إلى ضرورة سيرورة الأدب العربي والشعر العربي خاصة إلى التعبير عن العصر بطرح الأبعاد الثقافية والجمالية النقدية مميز من خلال :

أولاً: يتحقق الشعر بتحقيق لغته للابتعاد عن اللغة القاموسية والتراثية .

ثانياً: ليس للشعر شريحة من الأيديولوجية

ثالثاً: لا علاقة لتقدم الشعر أو تخلفه بتقدم البنية الفوقية والبنية التحتية أو تأخرهما.¹⁵

فالأدب التفاعلي يجابه تغيرات العصر ويستوعب اللحظة الكلية لتحركات الإنسان ، فيبث نبضه من تعالقه مع اللغة والمتلقي ، فقد أصبحت الحركة الأدبية الرقمية تلغي الحدود وتتحدى الثبات وتمتلك مفاتيح التأثير والفاعلية .

3- الأطر المنهجية للأدب التفاعلي :

يملك الأدب التفاعلي روح التجديد والانبعاث والحدائث ويعمل على تغيير الراهن انطلاقاً من منهجية يؤسس عليها نظريته الأدبية ، فقد لا تكتفي اللغة وحدها للتأسيس لهذا الأدب فهو يبحث عن أكثر الوسائل التكنولوجية الرقمية فاعلية فيستخدمها ، ويجد كل المؤثرات الايجابية التي من شأنها استقطاب المتلقي ، وينوع في وسائله سواء كانت نصية أو سمعية أو حركية ؛ ومعرفته بمدى قدرتها على التأثير ، فالمواقع المتعددة والمتنوعة في الانترنت والتي تخوض في مجال الثقافة والأدب تحرص على بلورة منهجية في الايقاع التواصلي بين المستخدمين ، فهي لا تتخذ من وسيلة الكتابة والخط مجالاً للتواصل ، بل تتعدى اللغة في صورتها المكتوبة والمنطوقة إلى أشكال متعددة في العرض وفي تنوع الأسلوب ، وفي اظهار حتى الأديب والمتلقي ، ومن كل ذلك يحاول الأدب التفاعلي في منهجيته أن يبني نصاً دلالياً وجمالياً وحتى لا ينغزل الأدب عن رسالته .

3-1 المشافهة والتفاعل :

قد يستعين الأدب التفاعلي في اندماج القارئ على المشافهة ، فيكون الاستدراج عن طريق تكوين صداقة بين الأديب والمتلقي أو عن طريق المصادفة أو حبا في الاطلاع على المكونات الفنية للأديب ، وحضور القارئ يتسم بمقاربة معرفية لما يشبع رغبة المتلقي ، فهو حين يستقبل النص الأدبي التفاعلي يستقبله بما يملكه من حواس تتفاعل معه لأن « جميع وسائط التواصل البشري تحكمها الخصائص الحيوية التي ترتبط بها ، مثل الجهاز الصوتي والأذن في حالة التحدث ، الأيدي والأعين في حالة الكتابة ، والوجه والأيدي والأعين في حالة الإشارة " بالاضافة إلى أجزاء مرتبطة بالدماغ في هذه العمليات " ¹⁶ ، وتمتلك هذه القدرات التواصلية الخلقية عند الإنسان على التمازج الكلي في تلقيها ، وتظهر الشفوية لما تتيحها هذه الوسائط من امكانية الاتصال والتواصل مع صاحب النص وقد انكب تحليل الخطاب بمختلف أنواعه على التفاعلات الشفوية

3-2 أشكال العرض للأدب التفاعلي :

يتخذ اللقاء أو عرض النص الأدبي على صفحة الويب ليكون أشد جذبا وانصهارا مع القارئ أشكالا من التلوينات التي تعد من صميم الأدب ، فالشعر في مساحة الفنية التي يحوزها يجمع عناصره الفنية فتتكى الرقمية على تفعيل الحواس فهي تخاطب كل الحواس لاستعمالها التأثيرات و« يخطو النص الإلكتروني التفاعلي إلى نوع جديد ، يتخاطب مع العين والأذن مباشرة. وعبر تقنية العصر الإلكتروني إنها محاولة تستهدف تقديم النص إلى جيل ما عاد يتعامل مع الورق ، ناهيك عن أن يفرغ لقراءة ديوان شعري أو رواية . وفي هذا مسعى لنقل الأدب بطريقة مدهشة ، وطريفة ، تتواصل مع حساسية إنسانية راهنة في التعبير والتلقي ، تمثلت منذ أكثر من عقد من الزمن انقلاباً تاريخياً في التراسل المعلوماتي ، صاحب الثورة الكبرى في الإتصالات وتقنية المعلومات ، ولاسيما بعد بروز الشبكة العنكبوتية ، وسيلة كونية أولى في بثّ المعلومة ، ضمن منظومة تؤذن بنهاية عصر المدونات الورقية ، أو على الأقل بوضعها على الرف ، مفسحة المجال لنوافذ إستمولوجية لا نهائية ، بفضاء العالم أجمع. ¹⁷ ، فيغدو المتلقي من عناصر العملية الابداعية ؛ لأنه يتسم بالتححر وتنتفح معه تخصيب الأثر الأدبي ، ويتمادى النص الأدبي التفاعلي وخاصة إذا كان نصاً شعرياً مثمراً بعناصر اللغة والموسيقى والرسم « إذ يمكن أن يمنح المبدع مساحات واسعة من تشكيل النص بوحداث بنائية غير حرفية ، فيمكن

إدخال الصورة والموسيقى عناصر بنائية رئيسية في النص حالها في ذلك حال الحرف ؛ لذلك تحولت الاستعانة الخارجية بالصورة والموسيقى كالاستعانة بمعزوفات الكمان والعود في الأماصي الشعرية الخاصة إلى استعانة داخلية مع الوسيط الرقعي ، فالموسيقى لا تبقى ملازمة للنص الشعري بعد نهاية الأسمية الشعرية الخاصة ، بل تفارقه ، لكنها مع النص الرقعي لا تفارقه ؛ لأنها عنصر بنائي رئيسي كالحرف في النص الورقي¹⁸ ، وهذا التفاعل البنائي ولّدته التقانة الحديثة ساهمت في إعادة صياغة عناصر الشعر من التلازم المحلي إلى التلازم اللانهائي ؛ لتكون القصيدة مشكلة من عناصرها البنائية الرسم والموسيقى ، ولعلّ كل ذلك من أجل هيمنة القصيدة في تفاعلها على القارئ ؛ ليكون متلاحما ومنسجما مع النص في اطلالته الفنية .

3-3 الخفاء والتستر:

يتيح الأدب التفاعلي للأديب كما للقارئ التنكر والتخفي ليقدم أفكاره وفق رؤية فكرية تتسم بالجرأة والتحرر ، هذا في بعض الحالات التي تحاول أن تتمرد على راهنها وواقعها ، ويغلب عليها البوح بقانعات فلسفية وأدبية تخرق المألوف وتبحث عن معالجة ما تراه محصنا في مجتمعا ، ومن ذلك نجد رواية الروائية الفلسطينية " أحلام بشارت " التي استطاعت أن تهتم بثقافة المراهقة والمراهقين من خلال عملها الروائي " اسمي الحركي فراشة " وهي تتحدث عن فتاة فلسطينية في مرحلة المراهقة تطرح العديد من التساؤلات الجديدة التي ترتبط بالوطن تارة وبالتغيرات البيولوجية التي تمر بها ، تارة أخرى ، وتواجه هذه الفتاة مجهولة الاسم بثقافة العيب والممنوع والحرام ، وتبقى أسئلتها بلا أجوبة ، والبطلة تتحدث وهي مجهولة الاسم وكأنها تتحدث عن جيل كامل ، فهي تلك المراهقة التي تعاني في المجتمع¹⁹ ، فالتحرر من القيود التي تكبل الجيل الجديد ، أفرز هذه الأعمال التي تعبر عن آماله وطموحه ورغباته ،

4-3 التنوع الأسلوبي :

أسهمت الانترنت بإدخال نماذج لغوية جديدة تتراوح بين مفردات تم تكييفها بشكل بسيط ، بالإضافة إلى الوسائط المسموعة المتنوعة على الانترنت مثل البودكاست " البث على أجهزة الاستماع الالكترونية " ومحادثات برنامج " سكايب " ، فتكون بالتالي أنماط خطابية تميز المخرجات المتنوعة ، ولكننا نجد المخرج المستخدم لدى يختلف في تنوعه واستعماله ، فالقيود المطبقة في " تويتر " مثلا يمكنها أن تخلق شخصية لغوية متجانسة إلى حد كبير ؛ إذ نجد صفحات الانترنت تتميز بتنوع أسلوبي كبير يجعل من الصعب علينا أن نقول هناك شيئا اسمه " لغة صفحات الانترنت " مع اختلاف الوظائف بالطبع مع هذه الشبكات²⁰ . كل هذا يتيح لأسلوب الأدب التفاعلي أن يجدد المساحة اللغوية والمساحة البصرية والمساحة السمعية لدى المتلقي .

ولعل الأديب المستعمل للشبكة العنكبوتية يستخدم اللغة مراعاة لمقتضى المتلقي إذ « يظل هناك فروق مهمة بين استخدام اللغة على الانترنت وخارجها ، خصوصا في جوانب معينة مثل طول الجمل وأنواعها ومدى تعقيدها ، وترتبط هذه الاختلافات بالقيود الموجودة في المخرجات المختلفة . فالقيود الخاصة بطول الجملة مثلا ، تقلل من استخدام الجمل المركبة المتداخلة عند كتابة التغريدات والرسائل النصية . ونجد الميل نفسه إلى استخدام الجمل القصيرة في مخرجات أخرى مثل الرسائل الفورية ونقاشات غرف المحادثة²¹ » ، وهذه الخواص اللغوية المستعملة فرضتها طبيعة الاستعمال من مدخلات النصوص الرقمية إلى مخرجاتها .

وقد « يعبر الخطاب في المدونات عن سلاسل من الوحدات الفكرية التي لا تتوافق مع أسلوب تقسيم الجمل الذي نتوقع أن نراه في النصوص المطبوعة فمثلا ، لا نجد قيودا على استخدام الشرطة للدلالة على تغيير اتجاه الأفكار أو قيودا على استخدام نقاط الدلالة على الحذف ، للإشارة إلى عدم اكتمال الكلام ، وليس هناك قيود على استخدام الفاصلة للإشارة إلى مواضع التوقف ، ولتنسيق إيقاع الجملة ، نرى ذلك في المثال التالي :

في الأيام القليلة الماضية قمت بالتدوين كثيرا لأمتع قلبي... حسنا ، دونت بقدر ما سمح لي شريكى ، حيث إننا نتشارك في جهاز حاسوب واحد ولن تصدقوا كم عدد المرات التي أردنا فيها استخدام الجهاز في الوقت نفسه - بالإضافة إلى انقطاع التيار الكهربائي - نعم ، يحدث هذا الأمر كثيرا في المنطقة التي أسكن فيها وهو أمر مزعج ، ولكن كما ذكرت قبل قليل كنت أدون باستمرار - حول مواضيع متنوعة²² ، وهذا ما يشكل عبئا في استعمال ما يرافق النص من علامات الوقف وإن كان له التحرر من قيود اللغة فإنه يحاول التخلص من هذه القيود ليمتص الشكل التعبير الحر وذلك لخصوصية التلقي وآليات التواصل .

إذن هنالك تحول في بناء الأدب التفاعلي في نصوصه المختلفة من حيث الجمالية التي يريد أن يرسوا به قواعده الأسلوبية ، فالزمن يتغير والحركة دائبة ومستمرة ، لانفتاح العالم على بعضه ، ممّا جعل الأدب خاضعا لقوانين هذا التحول وخاصة لما بعد الحداثة « فالشبكة العنكبوتية التي تجعل من الحاضر والمستقبل أمرا افتراضيا تدخلت تدخلا قويا في صنع النص الشعري الجديد، انطلاقا من نص التأسيس " قصيدة النثر الالكترونية " إلى نص الموبايل ، إلى النص الجماعي أو الانفلاتات إلى النص الرقمي المحض " التفاعلي " أو " الهيبترتاكست " ، كانسبا في طريقه جملة من المفاهيم من الوزن والقافية إلى قصيدة النثر ومجانيتها إلى ثنائية المرسل والمتلقي إلى ازدواجية المنطوق والمكتوب ، فقد غدا الشعر هباء الإشارة الالكترونية .²³ ، وما تحمله وتبثه وتقدمه هذه الإشارة الالكترونية من نبض أسلوبي أصبح متناغما مع التكنولوجيا الحديثة ، معبرا عن أسلوب حياة جديد بأسلوب جديد يكسو ثوب الأدب التفاعلي بتقنية الرقمية التي غدت ثورة في مناحي الحياة ، فلا يستطيع الأدب أن يكتفي بما احتواه من قوالب فنية تقليدية وإنما

3-5 التحرر من الهيمنة اللغوية :

إن الثورة الأدبية الالكترونية على انتشارها الواسع أصبح لها قطيعة مع ما هو ورقي ؛ ليصبح لها من الأدوات التواصلية، بغية تحقيق عمل أدبي لتلقي حوار تفاعلي ، فانسياب الادب مع حوار مباشر وتفاعل مباشر ومساحة حرة ، مع التنبيه إلى أنّ التحرر من الهيمنة اللغوية لا يعني البتة رفس اللغة وإقصاءها وإنما « لا يتحقق النص الرقمي إلا باعتماد أرضية رقمية معلوماتية إلى جانب اللغة المعجمية المألوفة إضافة إلى استثمار الوسائط المتعددة الحديثة. ولا يمكن قراءة النص الرقمي إلا بوساطة إمكانات إنتاجه؛ أي بقراءته على شاشة الحاسوب مع تنشيط الروابط وامتلاك قدرة قراءة الوسائط. وهو من هذه الناحية أقل كلفة من النص الورقي وأسهل تحديثاً وانتشاراً.²⁴ ، فالإبداع شديد الارتباط بالتجديد ، فحين تصبح اللغة في مساحة رقمية غير قادرة على التوصيل ، يلجأ الأديب إلى تنوع الوسائل التوصيلية للقارئ ، فلديه منها ما يكفي لينسق نضجه ، ويخزنه بالتكثيف التوصيلي المتعدد الذي أفرزته الرقمية ، من موسيقى إلى الصورة إلى الحركة في امتزاج كلي .

خاتمة :

إنّ الأدب التفاعلي يمتلك مقومات البروز والتمظهر في الحياة الأدبية ، وهو يحاول أن يتمترس في الوسط الأدبي خالقا قارئاً متفاعلا متناغما منسجما مع كل القضايا التي يعالجها ، فهو لا يختلف عن الأدب الورقي في استعمال بعض الأدوات ولكنه يتجاوز الأدوات التقليدية ؛ إذ يوظف كل الوسائط التي تسمح بتنشيط المتلقي ، ويتسم بسرعه وقدرته على التغيير والتحول والتفاعل في ميدان التواصل ، وقد استطاع الأدب التفاعلي من خلال التكنولوجيا الحديثة أن يجد مقومات العمل الأدبي الجديد بما توفره التقنية الحديثة ، ويسرح في فضائه بما يسمح له من توظيف أدوات عصرية تدمج القارئ

إنّ الأطر المعرفية للأدب التفاعلي تجاوزت الحداثة إلى ما بعد الحداثة في تفكيك المعرفة واندماجها في عصرنة الأدب والالكترونيات ، في فسحة من الحرية والانبعاث الجديد في وسط عالم متغير ومتجدد ، ويحاول الأدب التفاعلي أن يمنح نصوصه باستعمال الوسائط الحديثة في التلقي والإبحار بالقارئ في تشابك وتشارك بالروابط المتعددة على الشبكة

العنكبوتية ؛ ليتلاقح الأدب مع التقانة الحديثة مشكلا مثلثا تتموج فيه قضايا الأدب التفاعلي : الأديب والقارئ والالكترونية .

الهوامش

- 1- بول آرون ، دينيس سان - جاك ، آلان فيالا : معجم المصطلحات الأدبية ، تر : محمد حمود ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1433 هـ / 2012 م ، ص 196 .
- 2- جميل حمداوي : الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق ، موقع الألوكة ، www.alukah.net ، ص 14 .
- * ماكلوان مارشال مفكر وناقد كندي " 1911 ، 1980 " اشتغل بالتدريس في العديد من الجامعات وأسس " مركز الثقافة والتكنولوجيا " وتولى إدارته " 1963 ، 1980 " ، من بين أهم أعماله : العروس الآلية : فولكلور الإنسان الصناعي " 1951 م " ، الحرب والسلام في القرية العالمية " بالاشتراك مع كونتين فيور 1968 م ، خلال النقطة الأخذة في الاختفاء : الفضاء في الشعر وفن التصوير " 1968 م " ، الثقافة هي شأننا 1970 م ، فهم اللغة ووسائل الإعلام 1977 م وغيرها من الاعمال .
- 3- البريكي فاطمة : مدخل إلى الأدب التفاعلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، در. ط ، 2006 م ، ص 58 .
- 4- ينظر : حسام الخطيب : الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المرصع Hypertext ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، قطر ، ط 3 ، 2018 م ، ص 118 .
- 5- ينظر : ماهر شفيق فريد : ما وراء النص - اتجاهات النقد الأدبي الغربي في يومنا هذا - الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1437 هـ / 2016 م ، ص 194 .
- 6- نديم منصور : مشاهد العنف عبر وسائط الاتصال الحديثة " مخاطر ومخاوف " ، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية ، مجلة فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، العدد 15 ، المجلد الرابع ، شتاء 2016 ، ص 133 .
- 7- ماهر شفيق فريد : ما وراء النص - اتجاهات النقد الأدبي الغربي في يومنا هذا - ، 196 .
- 8- ينظر : صابر الحباشنة : محاولات في تحليل الخطاب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر " مجد " ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1430 هـ / 2009 م ، ص 85 .
- 9- أحمد سلامة : وسائل الاتصال الحديثة وراء اختفاء الصالونات الأدبية ، مجلة دبي الثقافية ، السنة العاشرة ، العدد 100 ، سبتمبر 2013 م ، ص 105 .
- 10- محمد أسليم : من الأدب إلى الرقمية ، موقع محمد أسليم ، الاصدار الثالث ، 2012 م ، <http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=124>
- 11- دافيد كريستال David Crystal : لسانيات الشبكة العنكبوتية ، تر : عبد الله بن عبد الرحمن بن طويرش ، دار جامعة الملك سعود للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، در. ط ، 1439 هـ / 2018 م ، ص 34 .
- 12- محمد مشبال ومجموعة من الباحثين : النقد والإبداع والواقع نموذج السيد بحراوي ، دار العين للنشر ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1431 هـ / 2010 م ، ص 24 .
- 13- ينظر : بول آرون ، دينيس سان - جاك ، آلان فيالا : معجم المصطلحات الأدبية ، ص 1201 .
- 14- ينظر : ماهر شفيق فريد : ما وراء النص - اتجاهات النقد الأدبي الغربي في يومنا هذا ، ص 312 .
- 15- ينظر : إبراهيم الوحش : في النقد التكاملي ، كتاب يصدر عن دبي الثقافية ، مجلة دبي الثقافية ، دار الصدى ، الامارات العربية المتحدة ، الاصدار 75 ، ط 1 ، 2013 م ، ص 20 .
- 16- دافيد كريستال David Crystal : لسانيات الشبكة العنكبوتية ، ص 156 .
- 17- عبد الله بن أحمد الفيقي : جماليات الأدب الالكتروني التفاعلي ، موقع مجلة اتحاد كتاب الانترنت المغاربة ، <https://ueimarocains.wordpress.com/2013/04/28/14356/> ،
- 18- حسن عبد الغني الأسدي : المدونة الرقمية الشعرية / التفاعل / المجال / التعالق ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، العراق ، ط 1 ، 2009 م ، ص 9 .
- 19- سما حسن : رواية " اسبي الحركي فراشة " ، مجلة دبي الثقافية ، السنة العاشرة ، العدد 100 سبتمبر أيلول 2013 م ، ص 129 .
- 20- ينظر : دافيد كريستال David Crystal : لسانيات الشبكة العنكبوتية ، ص 83 .
- 21- دافيد كريستال David Crystal : لسانيات الشبكة العنكبوتية ، ص 76 .

